



الاستبداد لحظة انكشافه

سنفترض ان الحكم البعثي في دمشق بريء من دم رفيق الحريري. سنفترض لحظة ان "الخبراء السويسريين" الذين سيستعين بهم النظام الامني اللبناني سيتمكنون من اثبات تورط ابو مصعب الزرقاوي بنفسه في عملية الاغتيال. سنفترض لحظة ان عباقرة المخابرات في سوريا ولبنان سينجحون، مثلما نجحوا عام ١٩٩٤ بعد تفجير كنيسة سيدة النجاة، في فرض رواية قابلة للتحوّل قراراً ظنياً، وإن سقطت لاحقاً خلال المحاكمة (اذا كان هناك من محاكمة). هل يكفي كل ذلك لوقف المسار الانحداري للحكم السوري في لبنان وخارجه؟ هل يكفي كل ذلك لستر ما كشفه حدث بيروت اول من امس عن الخلل المستجد في الهيمنة البعثية؟

اول من امس، سقط في بيروت الخط الاحمر الاخير الذي كان يحمي منذ مطلع التسعينات اكدوبة "وحدة المسار والمصير" ويغطي منذ انهزام كمال جنبلاط واغتياله عام ١٩٧٧ ادعاء الحكم السوري النطق باسم قسم من اللبنانيين.

هذا الخط الاحمر كان حتى اول من امس متمثلاً بالسكوت، الطوعي او القسري، الذي التزمه الرأي العام الاسلامي في لبنان حيال الحكم السوري منذ اكثر من ربع قرن، والذي تجدد في اكثر من مناسبة قمعية او "اغتيالية" حتى بات الاقتناع راسخاً ان الثمن الذي يدفعه المسلمون إن اردوا الاعتراض، اكبر بما لا يقاس من الثمن الذي يدفعه المسيحيون.

ولعل القهر الذي تعرضت له مدينة طرابلس، كما لو كانت مدينة من الداخل السوري، ابلغ دليل على فداحة الثمن. وجاءت القسوة التي ووجه بها وليد جنبلاط، سواء عام ٢٠٠١ او في الاشهر الاخيرة، لتؤكد صواب هذا الاقتناع. بل ان هذه الخلفية هي تحديداً ما صوّب الانظار واصابع الاتهام نحو الجهاز المخبراتي السوري - اللبناني في اللحظة نفسها التي علم بها الرأي العام اللبناني باغتيال رفيق الحريري.

اما وقد حصل هذا الاغتيال ونُسب الى من نُسب، ومهما تكن شطارة النظام المخبراتي في حياكة روايته التبريرية، فيبدو ان مبلغ الكبت جعل من انكسار الصمت ليس فقط سقوطاً للخط الاحمر الاخير، بل انقلاباً رمزياً وسياسياً قد تتعدى مفاعيله حدود لبنان.

اذ تشاء سخرية القدر ان تنقلب مقولة "الشعب الواحد في دولتين" في وجه من اطلقها. فعندما تصدح شوارع بيروت بشعارات عفوية تحمل طابعاً دينياً او طائفيّاً، يعرف الحاكم السوري ان صداها يصل الى دمشق وحلب. وعندما تُسمع من على شاشات الفضائيات ادانات كالتي سمعناها، من نوع "لا إله الا الله والاسد عدو الله" ("النهار" ١٧ / ٢ / ٢٠٠٥) ومطالبة بالثأر من أعلى المسؤولين في الدولتين، تصبح المحاولات الأيالة الى اثبات براءة الحكم البعثي في دمشق من دم رفيق الحريري بلا جدوى.

وكذلك اضحت بلا جدوى محاولات المتبقي من البعثيين توزيع الناس بين فسطاطين، فسطاط العملاء والخونة وفسطاط "الوطنيين" المعنيين بالقضية القومية. فعندما يكون جاك شيراك الرئيس الوحيد الذي جاء لينحني امام ضريح رفيق الحريري، فيما تخلف كل الملوك والرؤساء العرب، وبعد ثلاثة



اشهر على تكريمه التاريخي للرئيس الراحل ياسر عرفات في باريس، يصبح صعباً استخدام ادوات القراءة القومية العتيقة، كما طاب للبعض ان يفعل بالامس بالقول ان الشعارات التي رفعت في التشييع طارئة على تاريخ بيروت لأن تراث الشارع البيروتي لا يحتمل التعبئة الجماهيرية الا للدفاع عن القضايا القومية.

ربما كان هذا صحيحاً حين كان هناك من يستحق ان يثير الحمية القومية في جوار لبنان. اما اليوم، فقد اصبحت القضية القومية تكمن في التخلص من انظمة الارهاب والانقلاب واستعادة حرية الشعوب كمدخل الى نهضة عربية جديدة. فإذ يمشي في جنازة رفيق الحريري مئات الآلاف من المواطنين الاحرار، فيما لم يجمع تشييع حافظ الاسد قبل اعوام سوى قوافل سيرها الحزب الواحد ومخابراته من دون ان ينجح في حشد اعداد مماثلة، فهذا اسطع برهان على انتهاء اكدوية اخرى لازمت "وحدة المسار والمصير"، وهي الاكذوبة القائلة بأن الاستبداد هو درع العروبة. اول من امس، كانت بيروت القلب النابض لعروبة جديدة، عروبة وان شابتها بعض اعلانات الولاء الطائفي او العشائري، تقوم على الارادة الحرة للمواطنين والمواطنات. وهذا اكثر ما يتوجب على نظام الاستبداد خشيته اذا تأخر في انهاء هيمنته على بيروت ولبنان.

سمير قصير



Id-Reference	05-Pr-000551	
Media	(Support)	HC
Title		الاستبداد لحظة انكشافه
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٥/٢/١٨ 18/2/2005
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	رفيق. حريري - كمال. جنبلاط - وليد. جنبلاط - جاك. شيراك - حافظ. اسد - بشار. اسد - ياسر. عرفات
	Locations	لبنان - سوريا - طرابلس - دمشق - حلب - بيروت
	Dates	١٩٩٤ - ١٩٧٧ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٥/٢/١٧
	Themes	لبنان - سوريا - وصاية. حكم. بعثي - نظام. مخابراتي. سوري - حافظ. اسد - اغتيال. رفيق. حريري - اغتيال. كمال. جنبلاط - بشار. اسد - سوريا. نظام - نظام. امني. لبناني - مخابرات - تفجير. كنيسة. سيدة. نجاة - حزب. بعث - "وحدة. مسار. مصير" - مسلمون - مسيحيون - جهاز. مخابراتي. سوري. لبناني
Subject		سنفترض ان الحكم البعثي في دمشق بريء من دم رفيق الحريري. سنفترض لحظة ان عباقرة المخابرات في سوريا ولبنان سينجحون مثلما نجحوا عان ١٩٩٤ بعد تفجير كنيسة سيدة النجاة في فرض رواية قابلة للتحويل قراراً ظنياً. هل يكفي كل ذلك لوقف المسار الانحداري للحكم السوري في لبنان وخارجه؟ هل يكفي كل ذلك لستر ما كشفه حدث بيروت اول من امس عن الخلل المستجد في الهيمنة البعثية؟